

تفسير البحر المحيط

@ 160 @ المداد { لَنْفِدَ الدِّحْرُ } أي فني ماؤه الذي هو المداد قبل أن تنفذ الكلمات لأن كلماته تعالى لا يمكن نفاذها لأنها لا تتناهى والبحر ينفذ لأنه متناه ضرورة ، وليس بيدع أن أجهل شيئاً من معلوماته { وَإِنْ زَمَّ مَا أَنْزَلَهُ * بِشَرِّ مَثَلِكُمْ } لم أعلم إلا ما أُوحي إلى به وأعلمت . .

وقرأ الجمهور { مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي } . وقرأ عبد الله وابن عباس والأعمش ومجاهد والأعرج والحسن والمنقري عن أبي عمر ومداداً لكلمات ربي . وقرأ الجمهور { تَنْفَدَ } بالتاء من فوق . وقرأ حمزة والكسائي وعمرو بن عبيد والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى بالياء . وقرأ السلمي { أَنْ تَنْفَدَ } بالتحديد على تفعل على الماضي ، وجاء كذلك عن عاصم وأبي عمرو فهو مطاوع من نفذ تقديره لنفذ . وقرأ الجمهور بمثله مدداً بفتح الميم والبدال بغير ألف ، والأعرج بكسر الميم . وأنتصب { مَدَادًا } على التمييز عن مثل كقوله . . فإن الهوى يكفيكه مثله صبراً .

وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والأعمش بخلاف والتميمي وابن محيصن وحميد والحسن في رواية ، وأبو عمرو في رواية وحفص في رواية بمثله مداداً بألف بين الدالين وكسر الميم . قال أبو الفضل الرازي : ويجوز أن يكون نصبه على المصدر بمعنى ولو أمددناه بمثله إمداداً ثم ناب المدد مناب الإمداد مثل أنبتكم نباتاً . .

وفي قوله { بِشَرِّ مَثَلِكُمْ } إعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا أدعي أنني ملك { يُوحى إِلَيَّ } أي عليّ إنما هو مستند إلى وحي ربي ، ونبه على الوجدانية لأنهم كانوا كفاراً بعبادة الأصنام ، ثم حض على ما فيه النجاة و { يَرْجُو } بمعنى يطمع و { لِقَاءَ رَبِّهِ } على تقدير محذوف أي حسن لقاء ربه . وقيل { يَرْجُو } أي يخاف سوء { لِقَاءَ رَبِّهِ } أي لقاء جزاء ربه ، وحمل الرجاء على بابه أجود لبسط النفس إلى إحسان الله تعالى . ونهى عن الإشراك بعبادة الله تعالى . وقال ابن جبير : لا يراثي في عمله فلا يبتغي إلا وجه ربه خالماً لا يخلط به غيره . قيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (: إنني أعمل العمل إذا أطلع عليه سرتي فقال : (إن الله لا يقبل ما شورك فيه) . وروي أنه قال : (لك أجران أجر السر وأجر العلانية) وذلك إذا قصد أن يقبلى به . وقال معاوية بن أبي سفيان : هذه آخر آية نزلت من القرآن . .

وقرأ الجمهور { وَلَا يُشْرِكْ } بياء الغائب كالأمر في قوله { فَلَا يَعْْمَلْ } . وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي عنه : ولا تشرك بالتاء خطاباً للسامع والتفاتاً من ضمير

الغائب إلى ضمير المخاطب ، وهو المأمور بالعمل الصالح ثم عاد إلى الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله بربه ، ولم يأت التركيب بربك إيداناً بأن الضميرين لمدلول واحد وهو من في قوله { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا } . .